صورة ذوي الاحتياجات الخاصة في دراما التلفاز السوري

دراسة سوسيولوجية لعينة من المسلسلات السورية

د. يسرى زريقة*

جامعة تشرين / سورية

مقدّمة:

يُعدُّ هذا البحث من البحوث الوصفية، يسعى لتصوير وتحديد خصائص الصورة التي يُقدم بها ذوو الاحتياجات الخاصة في الدراما السورية، ومن ثم تحليل هذه الصورة تحليلاً شاملاً لترشيدها وتقديمها بأسلوب يخدم الأسرة والمجتمع، ولطالما أن هدف البحث هو كشف طبيعة الصورة التي يقدمها المسلسل التلفزيوني حول ذوي الاحتياجات الخاصة – فإن التقنية التي تتماشى وهذا الهدف هي تقنية تحليل المضمون إضافة إلى إداة دراسة الحالة تعتبر دراسة الحالة إحدى أدوات جمع البيانات في البحث الاجتماعي ودراستها، بحيث يمكن رسم صورة كلية لوحدة معينة في علاقتها المتنوعة وأوضاعها الثقافية ويمكن أن تكون الوحدة موضوع الدراسة شخصاً معيناً، أو أسرة، أو جماعة اجتماعية، أو نظاماً اجتماعياً، أو مجتمعاً محلياً، أو وطناً،

وتستخدم دراسة الحالة في الأغراض التعليمية والمنهجية[1].

واتخذت الباحثة المسلسلين "وراء الشمس" و"باب الحارة " كوحده دراسة وتحليل باستخدام الملاحظة والمقابلة لجمع البيانات للخروج بنتائج عن الصور التي تقدمها الدراما عن أشخاص ذوي احتياجات خاصة.

شهد العصر الحالي تطوراً ملحوظاً لدور وسائل الإعلام في تشكيل نظرة الإنسان لنفسه والعالم من حوله من خلال غرس الأفكار وتفنيد القيم والمبادئ والمواقف للأفراد والجماعات.

وصاحب تنامي تأثير التلفزيون على حياة الإنسان وتشكيل صوره ومفاهيمه عن العالم الخارجي وعن تغيير نظرتنا نحو الآخر نحو المرأة والطفل والأشخاص ذوي الإعاقة. ومع أن وسائل الاتصال عامة والتلفزيون بشكل خاص كان شاهداً على التطور الذي حصل في العالم من خلال الاتفاقيات العالمية التي تضمن حقوق ذوي الإعاقة، وناقلاً لأخبارهم ووقائعهم وأنشطتهم، إلا أن إسهام التلفزيون في تبني الصورة الجديدة التي أحدثها التحول في النظرة العالمية لهذه الفئات ونقلها، بقي محدوداً لا يتجاوز بضعة أعمال درامية.

وتأتي اهمية هذه الدراسة من اعتبار أن ذوي الاحتياجات الخاصة هم أناس طبيعيون، وأن لهم حقوق الأشخاص العاديين، من خلال موافقة الأمم المتحدة في ١٣ ديسمبر ٢٠٠٦ وبصورة رسمية على اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، وتهدف إلى حماية وزيادة الحقوق والفرص للأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة . وأن لهم حقوقاً متعادلة في التعليم والتوظيف، والحياة الثقافية، والامتلاك

والزواج من جهة ولانتشار الدراما السورية من جهة أخرى.
الأمر الذي يؤكد على أهمية الدور الذي تلعبه الدراما في تطوير ذوي الاحتياجات الخاصة وتغيير الكثير من المفاهيم المترسخة في أذهان الناس حول مكانتهم في المجتمع.

مشكلة الدراسة:

تتمحور مشكلة البحث بالتساؤل حول الصورة الذهنية لذوي الاحتياجات الخاصة التي تقدمها دراما التلفزيون السوري عبر المسلسلات الدرامية وبالآخر يمكن تفصيل المشكلة الأساسية إلى مجموعة من الأسئلة الفرعية التالية:

١- ما أنواع الإعاقات التي يتضمنها كل مسلسل.
٢- ما طبيعة اللغة والمصطلحات المستخدمة عن الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة في المسلسل.
٣- ما القيم التي يحملها المسلسل حول ذوي الاحتياجات الخاصة والأشخاص ذوي الإعاقة.

أهمية البحث وأهدافه:

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- التعرف على صورة الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة في الدراما التلفزيونية من خلال مسلسلي " وراء الشمس، وباب الحارة".
٢- التعرف على العوامل المؤثرة في تشكيل هذه الصورة وتأثيرها على أدوارهم ومحيطهم الأسري والمجتمعي.
٣- التعرف على مدى العلاقة بين الصورة المبثوثة من التلفاز وبين ماهيتها.
٤- التعرف إلى أيّ مدى كانت هذه الصورة قريبة أو بعيدة أو مطابقة للصورة العقلية للشخص ذوي الاحتياجات الخاصة بصفته شخص يتمتع بالكرامة والحقوق.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من أهمية اعتبار الشخص ذوي الاحتياجات الخاصة شخص فعّال في المجتمع وليس عالة عليه وأنّ له حقوق وعليه واجبات ومن أهمية وسائل الإعلام ومدى تأثيرها في الوقت الحالي من خلال مايلي:

١- أهمية وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة في نقل ثقافة الشعوب.
٢- معرفة الدور الذي تلعبه الدراما السورية في نقل الصورة الحقيقية لذوي الاحتياجات الخاصة.
٣- أهمية وسائل الإعلام في تكوين صور حياتنا بسبب انتشارها الواسع.
٤- انتشار أعمال الدراما السورية في معظم محطات البث الفضائية العربية.
٥- التعرّف على صورة الشخص ذوي الاحتياجات الخاصة من خلال مسلسلي " وراء الشمس "، " باب الحارة ".
٦- توظيف الدراسة للمنهج الكيفي في تحليل الصورة التي يحملها العمل لفئات عانت من التهميش والإقصاء لقرون عديدة.

فرضيات الدراسة:

تنطلق الدراسة من مجموعة من الفرضيات الأساسية يتفرع عنها مجموعة من الفرضيات الفرعية.

ولكون البحث يجب ألا يتجاوز العشرين صفحة سنقتصر على عدد من الفرضيات:

١- تقتصر الدراما السورية في أعمالها على تصوير ذوي الاحتياجات الخاصة أشخاص مثيرين للشفقة والعطف.
٢- تقتصر الدراما السورية في أعمالها على تصوير ذوي الاحتياجات الخاصة عالة على أسرهم.
٣- تقتصر الدراما السورية في أعمالها على تصوير ذوي الاحتياجات الخاصة أشخاص خطرون وأشرار.
٤- تشوه الدراما صورة الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة.
٥- تصور الدراما على أنهم عدائيون غاضبون.

منهج البحث:*

يعد هذا البحث من البحوث الوصفية، يسعى لتصوير وتحديد خصائص الصورة التي يُقدم بها ذوي الاحتياجات الخاصة في الدراما السورية، وثم تحليل هذه الصورة تحليلاً شاملاً لترشيدها وتقديمها بأسلوب يخدم الأسرة والمجتمع، ولطالما أن هدف البحث هو كشف طبيعة الصورة التي يقدمها المسلسل التلفزيوني حول ذوي الاحتياجات الخاصة – فإن التقنية التي تتماشى وهذا الهدف هو تقنية تحليل المضمون إضافة إلى أداة دراسة الحالة.

*واتخذ الباحث المسلسلين "وراء الشمس"، "باب الحارة" كوحدة دراسة وتحليل باستخدام الملاحظة والمقابلة كجمع البيانات للخروج بنتائج عن الصور التي تقدمها الدراما عن الأشخاص ذوي الإعاقة.

مفهوم الصورة:

تؤدي وسائل الإعلام دوراً مهماً في تشكيل الصورة وبنائها مما يؤثر على المتلقي وتغيير سلوكه في شتى المجالات الحياتية بجانبيها الإيجابي والسلبي.

جاء في المعجم العربي الحديث لاروس تعريفين لكلمة الصورة وهما: "الشكل واكتمال المجسّم والرسم الحاصل بواسطة مرآة أو آلة بصرية"(٢).

وهناك من يرى أن الصورة هي "البعد الذي يمثله الإدراك، ولا غرابة إن كانت وسيلة الإنسان الأولى للتعبير هي الصورة. والإنسان البدائي اعتمدها لترجمة أحاسيسه وتفاعلاته مع الطبيعة بدليل أن الحروف الهجائية في اللغة الإنسانية الأولى اتخذت شكل صور الأشياء والطيور والحيوانات المحيطة بالإنسان الأول"(٣).

أما الصورة التلفزيونية فتتشكل من خمس وعشرين صورة ثابتة في الثانية تتحقق بواسطة التصوير بكاميرا ذات عدسات خاصة يشرف على إعدادها مخرج أو مصور وطاقم من الفنيين المساعدين، يهتمون جميعهم بإخراج الشكل النهائي للصورة على أحسن وجه ممكن(٤).

وهناك من يرى أن الصورة في التلفزيون لم تعد مجرد تصوير للحقيقة أو مجرد رؤية ذاتية من قِبل الفنان بل إنها أصبحت ذات وظائف متعددة تؤديها لجمهور المشاهدين:

"هي وسيلة اتصال وإغراء وامتناع وإذهال حيث يقول لاكان: لقد عطلت الصورة لغة الكلام"(٥).

وتتبنى الباحثة مفهوم الصورة كما عرّفها وليم سكوت بأنها "مجموعة الصفات التي يميزها الشخص أو، يتصورها حينما يفكر بالشيء الذي تحمله الصورة"(٦).

الصورة الذهنية:

يختلف الباحثون في استخدام المصطلح الدال على مفهوم تكوين الصورة الذهنية في مختلف مناحي الحياة، بينما يستخدم الباحثين مفهوم الصورة الذهنية، يلجأ البعض الآخر إلى مفهوم الصورة النمطية وآخر صورة منطقية.

وتختلف الصورة النمطية عن الصورة الذهنية من حيث إن الصورة النمطية تشتمل على تركيب إدراكي يتضمن توقعات عن سلوك جماعة معينة تلك التي تؤثر بدورها على سلوك الإنسان نحو الجماعة التي يتم تصويرها نمطياً واستقبال وتحويل المعلومات التي يتم الحصول عليها عن هذه الجماعة ويتضمن توقعات سلبية عن سلوك هذه الجماعة"(٧).

من حيث يعرف معجم لاروس Larouse الصورة الذهنية على أنها:

"تمثل الأشخاص والأشياء والصور في الذهن، وهي انعكاس داخلي لحقيقة أو فكرة خارجية"(٨).

وهناك من يرى أن مفهوم الصورة الذهنية يستخدم للدلالة على مجموعة السمات والملامح التي يدركها الجمهور ويبني على أساسها مواقفه واتجاهاته نحو موضوع الصورة، وتتكون الصورة الذهنية عن طريق الخبرة الشخصية والعمليات الاتصالية سواء كانت مباشرة أو جماهيرية"(٩).

خصائص الصورة الذهنية وسماتها:

١- تتصف بالشمول والقِدم، فهي قديمة قِدم الوعي البشري.
٢- تحمل حكماً قيّماً وتميل للتكرار دون تغيير.
٣- ميلها إلى الثبات ولكن دون الجمود، وبالتالي تكوين الصورة الذهنية عملية ديناميكية وليس استاتيكية.
٤- ترتبط قوة الصورة أو ضعفها أساساً بمدى اتصال الفرد بالأشخاص أو الأشياء موضوع الصورة.
٥- الصورة الصادقة يستغرق بقاؤها وقتاً طويلاً، وبمشاركة جهاز التفكير المنطقي(١٠).

الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة Persons with Disabilties:

تُعرّف منظمة الصحة العالمية ذوي الاحتياجات الخاصة بأنها: الضرر الذي يصيب الفرد نتيجة حالة القصور أو العجز ويحد أو يحول دون قيامه بالوظائف الطبيعية بالنسبة لعمره وجنسه في إطار عوامل اجتماعية وثقافية يعيشها الفرد. www.who.int/ar

وللإعاقة بشكل عام تعريف وصفي يفيد بأنها عبارة عن "فقدان أو تقصير وظيفي بدني أو حسي أو ذهني، كلي أو جزئي، دائم أو مؤقت، ناتج عن اعتلال بالولادة أو عن حادث معين، أو مكتسب عن حالة مرضية دامت أكثر مما ينبغي لها أن تدوم، ويؤدي إلى تدني أو انعدام مقدرة الشخص على ممارسة نشاط حياتي هام واحد أو أكثر، أو على تأمين مستلزمات حياته الشخصية بمفرده"(١١).

كما يُعرّف قانون حقوق الأشخاص المعوقين رقم ٣١ الصادر عام ٢٠٠٧ الشخص ذات ذوي الاحتياجات الخاصة على أنه " كل شخص مصاب بقصور كلي أو جزئي بشكل مستقر في أيّ من حواسه أو قدراته الجسمية أو النفسية أو العقلية إلى المدى الذي يحد من إمكانية التعلم أو التأهيل أو

العمل بحيث لا يستطيع تلبية متطلبات حياته العادية في ظروف أمثاله من غير المعوقين"(١٢).

وقد جاء استخدام اصطلاح الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة بدلاً من استخدام الاعاقة للتأكيد على أن الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة هم أشخاص متساوون مع غيرهم في الحقوق والكرامة ولكنهم مختلفون في وسائل ممارسة الحق ويجابهون عوائق بيئته وسلوكيه، إلى الأمر الذي يجعل المجتمع بكافة تشكيلاته مسؤولاً عن تأهيل الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة لتمكينهم من المشاركة ورفع كل الحواجز والعقبات التي تحُد من فرص مشاركتهم الكاملة.

الدراما:

"إن كلمة دراما مشتقة من الفعل اليوناني القديم (داروْ) بمعنى اعمل، فهي تعني إذاً أي عمل أو حدث سواء في الحياة أو على خشبة المسرح"(١٣).

والدراما بالمعنى الفرنسي DrameLe نوع مسرحي ظهر في القرن الثامن عشر في فرنسا للدلالة على: " المسرحيات التي تعالج مشكلة من مشاكل الحياة الواقعية، فيها خلط بين طابع الجد والهزل بسبب اهتمامها بتصوير الحقيقة على خشبة المسرح من خلال المحاكاة الإيهامية"(١٤).

وهذا يعني أن الدراما مرتبطة بالإنسان، والإنسان مرتبط بالأرض، ومن المعقول أن تكون الدراما قد نشأت مع نشأة الإنسان على الأرض، والأنسان البدائي عرف القصة، ولكن في صورة مبسطة ثم شيئاً فشيئاً بدأ مجال التعبير الدرامي يتسع ليشمل على المسرحيات الدينية والأساطير، وقد ظهرت هذه المسرحيات في مصر الفرعونية "كانت المسرحية يتم تمثيلها في مصر الفرعونية لتمجيد أزوريس، يقدمون تفاصيل موت الإله، ثم عثورهم على أشلاء جده، وإعادته للحياة، ثم تنصيبه ملكاً للعالم السفلي، وكذلك الحال في سورية مع أسطورة تموز إله الماء والمحاصيل"(١٥).

الدراما التلفزيونية:

هناك من يُعرّف الدراما التلفزيونية على أنها: "الأعمال الدرامية التي تُكتب خصيصاً للتلفزيون، ولا تدخل في إطارها الأعمال المسرحية، وللدراما التلفزيونية أشكال متنوعة منها التمثيلية القصيرة التي تدخل في البرامج التعليمية، ومنها الأعمال الدرامية المتكاملة التي تأخذ شكل السهرة أو المسلسل أو الفيلم"(١٦).

ومن الأعمال الدرامية ما يصور في الأستوديو أو خارجه في الموقع الطبيعي للحدث.

أما بالنسبة للدراما السورية فقد حققت قفزة نوعية على المستويين الفني والمضموني، لتحتل الصدارة في الفضائيات العربية، مستفيدة من خبرة تراكمية، واهتمام من قِبل القائمين على الاشتغال بها من مخرجين وفنانين وكتاباً وفنيين، وتنوعت الدراما السورية بين " الدراما الاجتماعية، التاريخية، الكوميدية، الفنتازيا التاريخية، إضافة إلى البيئة الشامية"(١٧).

صورة ذوي الاحتياجات الخاصة في التلفزيون:

هناك تطورات تكنولوجية إعلامية كثيرة شهدها العالم في العصر الحاضر ولعل من أهم هذه التطورات هو تحول الصور الوافدة سواءً تلك التي تبثها الفضائيات، أم الصحف أم وسائل الإعلام الأخرى، إلى مصادر حقيقية للصور الذهنية، وبالتالي بدأ الإنسان بفقدان صوره التي أنشأها هو لصالح الصور الجديدة بطريقة لا يمكن تصورها،

ويُشير (جيري ماندر) إلى أنّ " الفضائيات تُعد اليوم واحدة من أهم مصادر الصورة، فإذا كان الناس يتلقون الصور التلفازية بنسبة أربع ساعات يومياً، فمن الواضح أنه مهما كانت فوائد الصور التي يحملها الناس في أفكارهم فإن الفضائيات الآن هي مصدرها"[١٨].

هذا أدى إلى اكتساح الصورة لحياتنا المعاصرة وإلى وجود نمط من الاستسهال وعدم التحفيز والتسطيح يطلق عليه نفسياً مصطلح " فائض العاطفة " والذي ينجم عن أن الصورة بحكم ملموسيتها تمتلك بُعداً عاطفياً أكثر من اللسان، الذي يُعتبر معطى تجريدياً، وهذا البُعد يتضخم نتيجة تركيز وسائل الإعلام الحديثة على الأحداث الدرامية والمأساوية (حروب، فيضانات، زلازل، حرائق...). وهنا يبرز السؤال الأهم وهو:

هل هناك أهمية لحضور صورةذوي الاحتياجات الخاصة على شاشات التلفزيون. ولماذا؟

سؤال يمكن الإجابة عنه من خلال سببين رئيسيين هما:

١- يتحمل التلفزيون مسؤولية الصورة التي يحملها الناس عن ذوي الاحتياجات الخاصة وكلما حاول التلفزيون تقديم صورة إيجابية عنهم وعن حياتهم وظروفهم كلما ساهم ذلك في تغير الصورة النمطية عنهم لدى الناس.
٢- من حق ذوي الاحتياجات الخاصة أن يكون لهم ظهور على شاشات التلفزيون كغيرهم من شرائح المجتمع[١٩].

معظم الصور التي تقدمها الدراما التلفزيونية صور تتراوح بين صورة الضحية للإساءة والاستغلال الجنسي والسخرية والاستهزاء، وكواجهة تكميلية أو ديكور، وهذا التناول يُقصد به نوع من التعاطف الإنساني لأنه يتم تصويرهم بشكل يستحق العطف والشفقة عليهم أكثر من إبراز الصورة الحقيقية أو الإنسانية لهم.

وغالباً ما تستخدم مفردات في البرامج الدرامية أو البرامج الحوارية تسيء للمعاق وتصف الأشخاص السليمين بـ(العجزة – العميان – الأطرش – الأخرس – العالة) وغيرها من المفردات التي يستخدم العاهة الطبيعية بشتم الآخر دون الالتفاف لآلاف المعاقين الذين يشاهدون أو يتابعون هذه البرامج، ومن هنا يمكن للصورة أن تلعب دوراً محورياً في توجيه سلوك الأفراد، كما أنها وسيلة فعّالة لتوجيه أهدافهم واتجاهاتهم داخل المجتمع.

النتائج والمناقشة:

الدراسة التحليلية للصورة الذهنية لذوي الاحتياجات الخاصة التي تقدمها دراما التلفزيون السوري.

قامت الباحثة بالتحليل النوعي لحلقات مسلسل "ما وراء الشمس" المتمثلة في ثلاثين حلقة تلفزيونية وحلقات مسلسل "باب الحارة " وفقط الجزء الذي ظهر فيه "ذوي الاحتياجات الخاصة ".

وحاولت الباحثة في كِلا المسلسلين رصد المشاهد ومضامينها، واستخدمت منهج دراسة الحالة على أساس الاهتمام بدراسة الوحدات الاجتماعية بصفتها الكلية، ثم النظر إلى الجزئيات من حيث علاقتها بالكل الذي يحتويها أي أنه متعمق في فردية وحدة اجتماعية سواء كانت هذه الوحدة فرداً أم أسرة، أم قبيلة، أم قرية، أم نظاماً، أم مؤسسة اجتماعية، أم مصنعاً، أم مجتمعاً محلياً، أم مجتمعاً عاماً، عن طريق جمع البيانات والمعلومات **** عن الوضع القائم للوحدة وعلاقتها مع البيئة ثم تحليل نتائجها.

صورة ذوي الاحتياجات الخاصة في مسلسل باب الحارة:

يتناول المسلسل موضوعه حارة شعبية تدعى حارة الضبع مركزة على المفردات التقليدية للحارة " الحلاق، الحكيم، صاحب المقهى، صاحب الحمام، بائع الخضراوات، زعيم الحارة، عقيد الحارة، الخباز، الزبال، التاجر.... ".

هذه الحارة تحكمها قوانين المجتمع المحافظ الذي كان في العشرينات من القرن الماضي.

ولكن الحديث عن هذا العمل وما حصده من نسبة مشاهدة بين الجمهور داخل وخارج الوطن العربي يؤشر خطورة ما يطرحه هذا العمل في كل مفرداته وبالتحديد التي تتعلق بالشخصيات الإيجابية والسلبية، إلّا أن أخطرها كان شخصية "صطيف" الأعمى الذي ادعى العمى ليكون جاسوساً ويرتكب عمليات القتل لشخصيات مهمة مثل الزعيم والفوال والزيبق.

رغم أن المشاهد سيكشف في النهاية أن صطيف ليس أعمى إلا أن صفة الأعمى ستظل ملازمة له حتى نهاية المسلسل وقيل تنفيذ الحكم فيه من قبل "أو شهاب".

ولعل تكرار مشاهد القتل في المسلسل وما تتبعها من أحداث تتعلق حادثة القتل الأولى، جسد فكرة اقتران صورة القتل وبشاعتها بصورة القاتل المفترض وهو ما سعى لكشفه كبير الحارة "الزعيم"، ولكن الزعيم يُقتل بعد أن اقترب من كشف شخصية القاتل، لتستمر الأحداث حتى اكتشاف شخصية صطيف الأعمى، بأنه ليس أعمى.

هذا التجسيد أكد ما ذهبت إليه الدراسات السابقة ومنها دراسة معهد الدراسات المعلوماتية عن صورةذوي الاحتياجات الخاصة في الإعلام والتي أظهرت المعاقين على شكل لصوص أو مجرمين أو أنهم أشخاص خطرون وأشرار.

عدا عن المفردات الالفاظ التي كانت تقال وتتردد على ألسنة أهل الحارة.

جدل رقم (١) المفردات التي ظهرت في المسلسل ذات المرجعية الدينية الاجتماعية

الرقم	المفردات الدينية	المفردات الاجتماعية
١	أعمى	يضحك عليه
٢	مسكين	مجنون
٣	بينزعل عليه	أهبل
٤	شفقة	عقلاتو ع قدو
٥	صدقة	اطعامو حسنة
٦	مبروك	ما بيعرف شي
٧	إحسان	
٨	الله يساعدو	فقير ما بيعرف شي
٩	ع البركة	ضرير
١٠	الله يعينه ع حالو	أجدب

وتزخر مشاهد المسلسل بالإيماءات والتعابير التي تتم عند النظر إلى الشخص ذوي الاحتياجات الخاصة

ككائن مختلف وأقل مكانة وتقدير من أقرانه من الأفراد من غير ذي الإعاقة.

وإذا ما عرفنا أن الصورة تمارس نوعاً من التأثير في سلوك الأفراد من خلال إدخال نمط من المعلومات إلى المخزون المعرفي لهم. مما يؤدي إلى تغيير في السلوك الطبيعي لهؤلاء الأفراد. من خلال ما ظهر في المسلسل في تغير الافراد سلوكهم مع الأعمى طريقة التعاطي معه على أنه كائن فقير يجب إطعامه وإيواءه هو غير قادر على العمل أو الكلام أ فعل أي شيء، مسموح له السرقة لأنه فقير ولا يجد لقمة عيشه، غيرها من الصور التي ساهمت في ترسيخ صورة المعاق الضعيف الذي هو بحاجة إلى رعاية وعناية من الآخرين.

صورة ذوي الاحتياجات الخاصة في مسلسل "وراء الشمس":

تناول المسلسل نوعين من الإعاقات الذهنية هما التوحد من خلال شخصية "بدر"، متلازمة داون من خلال شخصية "علاء" و"وسيم".

فالتوحد هو "اضطراب غائي يكون عند الأطفال أكثر من البالغين ويجب ألا ينظر له على أنه شيء عابر لأنه يؤثر على تطور العقل، وتبدو أعراضه مختلفة باختلاف الأعمار، وبعض الأعراض لا تظهر إلا متأخرة، والأخرى تختفي مع الزمن".

وتعرف الموسوعة الحرة متلازمة دان على أنه "مرض صبغوي ينتج عن خلل في الكروموسومات حيث توجد نسخة إضافية من كروموسوم ٢١ أو جزء منه مما يسبب تغير في الإرثاث، تتسم الحالة بوجود تغييرات كبيرة أو صغيرة في بنية الجسم، يصاحب المتلازمة داون في أشخاص طبيعيين كصغر الدقن وكبر حجم اللسان واستدارة الوجه".

www.ar.wixipedia.com

أما النسبة للمسلسل فقد تناول ذوي الاحتياجات الخاصة على أنها مشكلة أسرية أكثر من تناولها كقضية ترتبط بحقوق الاشخاص ذوي الاعاقة، وقد تجلت هذه النظرة في عرض المسلسل لواقع ثلاث أسر، لأشخاص ذوي احتياجات خاصة ، تباينت هذه الاسر في ظروفها الاقتصادية الاجتماعية والتعليمية، وأعمار الأشخاص المعاقين المنتمين لها.

في الحالة الأولى: بين المسلسل وجود علاقة بين فقر الاسرة وانحراف الابنة (بدرية) وتأثير هذا الانحراف على مكانة الاسرة ومحيطها الاجتماعي خروج الأم (أم بدر) إلى العمل، وفي هذه الظروف الصعبة نسبياً يتلقى الشخص ذو الاحتياجات الخاصة "بدر" قدراً بسيطاً ومحدداً من الخدمة والرعاية تتمثل في الأكل والشرب واللباس وهذا الفقر منع العائلة من التعرف على إمكانيات بدر وقدراته والتي خضعت لاستغلال /كريم/ رب العمل الذي بعمل عنده بدر في تصليح الساعات العتيقة.

في الحالة الثانية: عرض المسلسل لأوضاع أسرة ميسورة الحال نسبياً مؤلفة من أب وأم وثلاثة أبناء أصغرهم (علاء) الشاب اليافع والذي لديه (متلازمة داون) ويقيم مع الأسرة. يُظهر المسلسل مركزية (علاء) واحتياجاته ومطالبه كمحور لنشاط وروتين الأسرة اليومي، حيث تكرس الأم جُلّ وقتها اليومي لتقديم الرعاية والحب والاهتمام لـ(علاء).

ولكن بالرغم من رعاية الأسرة أظهر المسلسل غياب رعاية المجتمع للشخص ذي الاحتياجات الخاصة الذهنية من جوانب الصحة، والتأهيل، وفرص الوصول، والتعليم، والعمل.

الحالة الثالثة: يعرض المسلسل لكيفية استجابة الوالدين عند معرفتهما احتمال ولادة طفلهما الأول بإعاقة ذهنية (متلازمة داون). ويُظهر المسلسل تبايناً في المواقف تصل إلى الصراع بين (عبادة) الرافض لاستمرار الحمل، و(منى) التي بدت متقبلة للحالة وسعت جاهدة لتهيئة نفسها معرفياً وعاطفياً واجتماعياً، لتقبل المولود والدفاع عن حقه في الحياة.

وكشف المسلسل جهل فئات المجتمع بهذا النوع من الإعاقات من حيث أسبابها وطبيعتها، وكيفية التعامل معها. وأظهر حجم المخاوف وقلق الأسرة من وجود مثل هذا الفرد ضمنها.

أما بالنسبة لطبيعة اللغة والمصطلحات التي استخدمها المسلسل عن الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة تقول:

في ضوء هذا المسلسل يمكن تصنيف المفردات والمصطلحات الواردة في المسلسل إلى ثلاث مجموعات:

جدول رقم /٢/ المفردات التي ظهرت في المسلسل ذات المرجعية /الدينية، الاجتماعية، الطبية/

الرقم	المفردة ذات المرجعية الدينية	المفردة ذات المرجعية الاجتماعية	المفردة ذات المرجعية الطبية
١	مسكين	عقلاتو	بتخضعو
٢	ياحرام	بيضحكو عليه	مريض
٣	شفقة	منغولي	طيف التوحد
٤	صدقة	مجنون	متلازمة داون
٥	هدية من ربنا	ما بيطلعيا بيد	

الصور النمطية التي ظهر فيها الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة في المسلسلين:

وزخرت مشاهد المسلسل بالإيماءات والتعابير التي تنم عن اتجاهات أقل ما يمكن وصفها بأنها تنظر إلى الشخص على أنه أقل مكانة وتقدير من أقرانه من غير ذوي الإعاقة، وأنه فرد مثير للشفقة، لا حول له ولا قوة، غير قادر على العيش وتأمين مستلزماته بمفرده، بحاجة دائمة إلى العون والمساعدة، عدا عن عدم رغبة كثير من الأهل في وجود هذا الشخص بينهم.

وعرض المسلسل الكثير من القضايا العامة التي تناولها في مجال ذوي الاحتياجات الخاصة منها:

١- قضية العنف وخصوصاً اللفظي واستغلال الأشخاصذوي الاحتياجات الخاصة.
٢- قضية الإجهاض (في حال كون الجنين يحمل إعاقة بشكل خاص) من منطلق طبي وعاطفي وأخلاقي دون الإشارة إلى الجانب القانوني.
٣- قضية ثقافة التنوع وقبول الآخر. بدا المسلسل متجاهلاً لقضية ثقافة التنوع وقبول الآخر التي تعد أكثر القضايا والمرتكزات التي بنت عليها الاتفاقية كحق الزواج – المناصب – والدمج والتواصل والاعتراف بثقافة فئات ذوي الاحتياجات الخاصة المختلفة.
٤- قضية تدني الوعي المجتمعي الإعاقة: أظهر المسلسل مستوى متدني لوعي الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة من حيث الأسباب والطبيعة والأنواع، وعدم معرفة كيفية التعامل مع هذه الإعاقات.

أظهر المسلسلين صور نمطية لذوي الاحتياجات الخاصة منها:

١- ذوي الاحتياجات الخاصة المهمل وكان ذلك واضحاً من لباسه غير المرتب /بدر - صطيف/. والثياب الرثة العتيقة وغير المرتبة.
٢- صورة ذوي الاحتياجات الخاصة العرضة للشفقة والإحسان وموضع السخرية والتهكم منهم.
٣- صورة ذوي الاحتياجات الخاصة المتسول /بدر - صطيف/.
٤- صورة أن الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة يشكلون عبئاً على الأسرة وأفرادها.
٥- صورته أنه كائن مسكين وضعيف ومثير للشفقة /بدر – علاء – صطيف /.

هذا يدل إلى ميل الدراما إلى تكريس الصور النمطية للأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة وابتعادها عن تصويرهم كأشخاص يؤدون أدواراً متنوعة، كأعضاء مندمجين في المجتمع يسهمون ويشاركون كغيرهم دون تمييز أو اقصاء.

الاستنتاجات والتوصيات:

١- تناولت الدراما قضية ذوي الاحتياجات الخاصة بطريقة هامشية لم تعطهم حقهم الطبيعي من الاهتمام.
٢- قدمت الدراما صورة مشوهة للمعاق من خلال اقتران صورة (الأعمى) في مسلسل باب الحارة بجرائم القتل وأنه جاسوس.
٣- أعطت الدراما صور نمطية عن الأشخاصذوي الاحتياجات الخاصة وأنهم ضعفاء يستحقون الشفقة، وأنهم عرضة للإساءة والاستغلال، وموضع للسخرية.
٤- اهتمت الدراما بتصوير معاناة أسر الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة أكثر من اهتمامها بحاجات ورغبات المعاقين أنفسهم /مسلسل ما وراء الشمس/.
٥- و الرغم من تناول المسلسل لتفاصيل الحياة اليومية لأبطاله من الأشخاص ذوي الإعاقات إلا أنه لم يتمكن من نشر تصورات إيجابية عن الأشخاص ذي الإعاقة، وتكوين وعي اجتماعي أعمق بهم.
٦- في غالبية المشاهد تحاول المسلسلات تكريس صورة ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع العربي باعتبارها قضية تعني الأسرة بمفردها بعيداً عن إدارة المؤسسات الرسمية.
٧- معظم الصور التي عرضتها المسلسلات ركزت على إظهارهم أنهم: مصدر للشفقة، موضوع للسخرية، عبء على الأسرة، غير قادرين على المشاركة في الحياة العامة.

التوصيات:

١- توظيف الدراما في محاولة رفع الوعي بقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة وأنواعها، وطبيعتها، وخصائصها، وحقوقها.
٢- شمول الأعمال الدرامية التلفزيونية لأنواع الإعاقات كافة بما في ذلك الحركية، البصرية، السمعية، وتناولهم بشكل بعيد عن الصور النمطية المأخوذة عنهم.
٣- استشارة منظمات الإعاقة، والخبراء، والناشطين في مجال حقوق الأشخاص ذوي الإعاقات تجنباً لوقوع العمل في أخطاء يمكن أن تؤثر سلباً على العمل وعلى صورة الأشخاص ذوي الإعاقة.
٤- التوعية في وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمكتوبة، وأيضاً الدراما، في حقوق المعاقين ومحاولة إحداث تغيير في نظرة المجتمع لهم.
٥- تركيز الدراما على صور دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع واعتبارهم جزء أساسي ومهم في هذا المجتمع ومحاولة اسناد

الوظائف المختلفة لهم ليكونوا عناصر فاعلين في المجتمع وليسوا عبء عليه.

المصادر

*استاذ مساعد, قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

المراجع:

١- أحمد، غريب محمد، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، الاسكندرية، (دار المعرفة الجامعية)، ١٩٨٦، ص ١٧٨.

٢- لاروس، المعجم العربي الحديث، مكتبة لاروس، ١٩٨٣، ص ٨٧.

٣- علم الدين، محمود، الصور الفوتوغرافية في مجال الإعلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١، ص١٧.

٤- مدانات، عدنان، مسارات الدراما التلفزيونية العربية، عمان، دار مجدلاوي للنشر، ٢٠٠٢، ص٧٦.

٥- دوبري، ريجيس، حياة الصورة وموتها، ت.فريد انراهي، افريقيا الشرق، ٢٠٠٢، ص٩.

٦- صالح، سليمان، وسائل الإعلام وصناعة الصورة الذهنية، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر، ٢٠٠٥، ص١٧٤.

٧- الموسى، عصام سليمان، الصورة العربية في الصحافة الأمريكية، ت.محمد راتب البطاينة، أربد، ١٩٨٤، ص٦٤.

٨- Dictionaries de laso cio ،Larouse ،logie ،France ،1996 ،P.34.

٩- Dennis. K.D.Mass ،J.B ،Stanly ،communication theory foundation and future ،wads worth ،1995 ،P.13.

١٠- عجوة، علي، العلاقات العامة والصورة الذهنية، القاهرة، عالم الكتاب، ١٩٨٣، ص١٧.

١١- السودائي، حسن، صورة المعاق في الدراما العربية، الشارقة، ٢٠٠٨، ص٨٧.

١٢- بركات، سهير، الإعلام وظاهرة الصورة المنطبقة، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، ١٩٨٠، ص١٠٣.

١٣- النادي، عادل، مدخل إلى كتابة الدراما، مؤسسة عبد الكريم عبد الله، للنشر، ط١، ١٩٨٧، ص٢.

١٤- شلبي، كرم، معجم المصطلحات الاعلامية، دار الجبل، بيروت، ط٢، ١٩٩٤، ص١٩٤.

١٥- الشاروني، يوسف، مع الدراما، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩، ص٢٨.

١٦- Wagimest, Betly. Cate, Dorotly, Drame as learning medium rseat, Britain, Hurchimasan and co, Publisher. LTD, 1983, P.113.

١٧- بلال، مازن وآخرون، الدراما التاريخية السورية، حلم نهاية القرن، ط١، ١٩٩٩، ص٣٣.

١٨- جيري، ماندر، استبدال الصورة البشرية بواسطة التلفزيون، ت.كاظم سعد الدين، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، العدد ٤، ١٩٩٢، ص١٤٧.

١٩- السيد محمد، علي الدين، نحو رؤية عربية متكاملة لرعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، مجلة الطليعة الالكترونية، العدد ١٦١١.

٢٠- الزريقات، ابراهيم عبدالله، التوحد: الخصائص والعلاج، عمان، دار وائل للطباعة والنشر، ٢٠٠٤، ص٢٠.